الفصل 1

كَيْفَ أُساعِد طِفلَتي؟

قِصَّتَا كَميلَة ورَانيا

كَميلَة

تعيش **كَميلَة** ووالداها، سوزان وأمير، في قرية صغيرة. عندما كَانت **كَميلَة** صغيرة جدًا، لاحظ أبواها أنّها لم تمدّ يدها قط إلى اللُعَب التي قدّماها لها. لذا أَخذاها إلى الطبيب في مكان قريب من البلدة لمعرفة السبب.

فأخبرَهما الطبيب أنَّ **كَميلَة** شبه عمياء. كانت كَميلَة ترى شيئًا من الحركة والاختلاف بين الضوء والظلام، لكن لا شيء عدا ذلك. قال الطبيب: "لن يتحسّن بصرها". عادت سوزان وأمير إلى البيت في حزن شديد. وكانت سوزان تفكر: "كَيْف يحْدثُ هذا؟ إنها طفلة لطيفة جدًا". وحزنت سوزان طويلاً.

اعتنت سوزان وأمير بكميلة أفضل عناية ممكنة.

لكن بسبب ضآلة الأجر الذي يُدرّه عمل أمير وعدم كفايته لإطعام عائلته، حاكت سوزان وبنتاها الاثنتان الأكبر سنًّا الملابسَ لبَيْعها في السوق. فلم يكن مُتّسع من الوقت لِلَّعِب مع كميلة طالما كانت الأسرة تعمل، فكانت تقضي أغلب اليوم منزويةً في هدوء في أحد أركان الدار.

كانت سوزان تقلق أحيانًا لأنّ كميلة لا تتَحرّك ولا تصدر أصوات إلاَّ نادرًا، لَكنَّ عبئًا انزاح عن صدرها لمّا رأت الرضا ظاهرًا على كميلة لمجرد قربهم منها. ولما بلغت كميلة سنّ الثالثة لم تتعلم إلاَّ بضع كلمات. فبَدتْ وكأنها غارقة في عالمِها الخاص أغلب الوقت، ولا يصدر منها إلاَّ حركات غريبة مثل وضع يدها في عينيها أو الرفرفة بيديها. ولم تستطع إطعام أو إلباس نفسها، وكَان من الأسرع لسوزان أن تقوم بهذه الأشياء بدلاً منها.

لأنَّ كميلة لَم تلعب كغيرها من الأطفال الذين في عُمرها، ولم تتَعلّم العناية بنفسها، لم تقوَ ذراعاها وساقاها. وعندما كان الأطفال الآخرون في عُمرها يتعلّمون الوقوف والمَشي، كَانت ساقا كميلة أضعف جدًا من احتمال وزنها.

عندما كبرت بما يكفي لدخول المدرسة، حملها والداها إلى المدرسة. لكن المدرسة أخافتها، لأنه لم يسبق لها التغيُّب عن البيت. فكانت كميلة تجلس في الفصل يومًا بَعد يومٍ وتبكي. وإذا تكلّم المعلّم معها، لا تُجيب. وأخيرًا، قرّرت سوزان وأمير أنَّ المدرسة لا تفيد كميلة وتَوقّفا عن أَخذها إلى هناك. لَكنَّهما قلقا بشأن مستقبلِها: "إذا لم تحصل على قسط من التعليم، فكيف تعِيش؟ ومَن سيَعتني بها بعد موتنا؟".

رانيا

رانيا بنت صغيرة فاقدة البصر، وهي من قرية أخرى. عندما علم والداها، جمال وأريني أنَّ طفلتهما الرضيعة كفيفة البصر، قالت جدة رانيا: "يَجِب أن نَعمل كلّ ما يمكن عمله لتَعليم هذه الطفلة الرضيعة. ها أنا قد فقدت بصري منذ خمس سنوات، وما زِلت أستطيع عَمَل أغلب الأشياء التي اعتدت عَمَلها. ما زِلت أَجلب الماء من البئر، وما زِلت أَحلب العنزات".

أجاب جمال: "لَكنَّك كنت تستطيعين عمل كُلّ تلك الأشياء قبل أن كُفّ بصرك، أمَّا الطفلة الرضيعة الكفيفة فكيف تتعلّم؟"

أجابَت الجدة: "يَجِب أن نُساعدَها لتَتعلّم. كما تعلّمت أنا أن أعمَل الأشياء بالسمع واللمس، هكذا يجب أن تتعلّم رانيا".

اقترح طبيب الصحة أن يعطوا رانيا الكثير من الأجسام لتلعب بها، ويُشجّعوها على استعمال سمعها ولمسها وشمّها للتَعويض عمّا لا تستطيع أن تراه. قال طبيب الصحة: "كلّموها كثيرًا". وعليه جعلت الجدة رانيا تلمس وتستمع إلى كُلّ شيء. وكانت تلعب مَعها الألعاب وتغَنّي لها. وعندما بلغت رانيا سنتين، علّمَتها الجدة أن تتحسّس طريقها بمحاذاة الحيطان والسياج، كما تعلّمت هي من قبلها. ولما بلغت الثالثة، كانت رانيا تستطيع العثور على طريقها إلى المرحاض والبئر وحدها.

لم يكن عند جمال وأريني والجدة كثير من الوقت لعمَل نشاطات خاصّة مع رانيا؛ إذ كانوا يعملون ساعات طويلة في دكانهم الصغير. لَكنَّهم ساعدوا رانيا أن تتعلّم مهارات جديدة بإشراكها فيما كَانوا يعملونَ بالفعل، مثل الذِّهاب إلى السوق. هذه النشاطات اليومية البسيطة ساعدت رانيا على تنمية العديد من المهارات. وعندما بَدأت رانيا الذهاب إلى المدرسة، جاء أطفال الحيّ في طلبها كُلّ يوم. وعندما كان القرويّون يرونهم يمشون جميعًا في الطريق، كَان يصعب عليهم تمييز الطفل الكفيف من البصير.

فَهم قصتا كميلة ورانيا

إذا كانت طفلتك لا تُحسِن الرُؤية أو كانت كفيفة، يُمكِن أن تُساعدَها أن تتعلّم العديد من المهارات، كما فعلت عائلة رانيا معها. لكن المُهم أن تفهم لماذا استطاعت رانيا أن تتعلّم المهارات التي كان غيرها من الأطفال يتعلّمونها بينما لَم تتعلّمها كميلة.

لفَهم السبب، من المفيد معرِفة ما يلي:

كيف يتطوّر الأطفال (أي كيف يكتسبون مهارات جديدة أثناء نموّهم).

كيف تُؤثّر صعوبة الرؤية على التطوُّر.

كيف يتطوّر الطفل؟

يتطوّر كُلّ طفل في ثلاثة مجالات رئيسية: جسميًا (في الحجم والتوافق العضلي)، وعقليًا (التَفكير)، واجتماعيًا (الكلام، الاستماع، والانسِجام مع الآخرين). في كُلّ مجال، يتعلّم الطفل مهارات جديدة خطوة بخطوة بترتيب محدّد.

قبل أن يتعلّم الطفل أن يمشي، على سبيل المثال، يجب أن يتعلّم أولاً عددًا من عمليات التحكّم البسيطة في الجسم:

(1) من الضروري أن يكُون قادرًا على رَفع رأسه وتَحريك ذراعيه وساقيه.

(2) ثمّ يُمكِن أن يستعمل ذراعيه وساقيه لرَفع نفسه إلى وضع الجُلُوس.

(3) أثناء الجلوس، يبدأ يمد يديه ويَتّكئ ويستدير. سيُساعدُه هذا في تطوير توازنه – وهي مهارة سَيَحتاج إليها قريبًا للوقوف والمشي.

(4) ثمّ يجذب نفسه إلى وضع الوقوف.

قبل أن يستطيع الطفل الحديث مع الناس، يحتاج إلى تعلّم العديد من مهارات التَّواصُل البسيطة مثل:

أ. فَهم الكلمات والطلبات البسيطة.

ب. استعمال الإشارات أو الرموز.

ج. قول كلمات بسيطة.

د. استعمال جُمَل قصيرة.

كُلّ مهارة جديدة يتعلّمها الطفل تُبنَى على المهارات التي يعرفها وتُهيّئه لتعلّم مهارات أخرى أكثر صعوبةً. لذا فعندما لا يتعلّم الطفل مهارة ما، يعني هذا أنّه لا يواجه المشاكل في تلك المهارة فقط، لكن في المهارات الأخرى التي تعتمد عليها.

على سبيل المثال، إذا واجهته مشكلة في رفع رأسه، فستواجهه صعوبة في تعلّم مهارات مثل الجلوس أو الحبو اللتين لا بُدَّ فيهما من رفع الرأس. وبمرور الوقت، يبدأ نموه يتخلّف عن الأطفال الآخرين في مثل عُمره.

تُبنَى كُلّ مهارة جديدة على المهارات المتعلَّمة من قبل، مثل مُكعّبات البناء.

كيف تُؤثّر مشاكل الرؤية على التطور؟

عندما تستطيع الطفلة أن ترى، تتطوَّر المهارات "طبيعيًا" في العادة وهي تُراقب الناس وتَلعب معهم وبالأجسام التي تراها حولها. يُتيح اللعبُ لها العديد من الفرص "الطبيعية" للتَّنَقُّل والتعلّم.

عندما ترى الطِّفلة جسمًا مثيرًا، تمتدّ يدها إليه أو تزحف نحوه للحُصُول عليه.

يُساعد هذا على تقوية ذراعيها وساقيها.

كما يُساعدها اللعب بالأجسام على تعلّم مهارات التَّفكير، مثل حَلّ المشاكل البسيطة. هنا تتعلّم كَيف تقرِّب لعبتَها منها بسَحب خيطها.

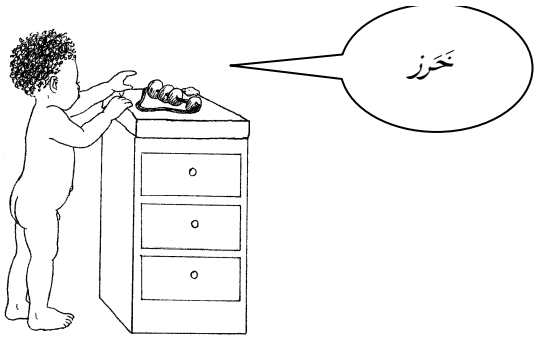

كذلك يُساعدها اللعب على الكَلام أيضًا. فعندما تهتَمّ بالأجسام، تتعلّم أسماءها.

يقلّد الأطفال بطبيعتهم ما يرونه. إذ تُساعدها مُرَاقَبَةُ الناس الآخرين أن تتعلّم كَيف تقوم بعمَل الأشياء وكَيف تتصرّف.

يَتعلّم الصغير الكَلام بالاستِماع إلى غيره من الناس وبرُؤية ما يتحدّثون عنه.

يَتعلّم كَيف يُلبِّس نفسه بمُرَاقَبَة الآخرين.

أمَّا الطِّفل الذي لا يُحسِن الرؤية فعنده فرص "طبيعية" أقل للتعلّم. لذا فقَد يتعلّم المهارات ببطء أكثر من الأطفال الذين يرون، وقَد يبدأ تطوُّره يتَخَلَّف.

الأطفال الرُضَّع الذين لا يُحسنون الرُؤية غالبًا يقلّ لعبهم لأنهم لا يرون أيّ شيء ليلعبوا به.

هذا الطفل الرضيع لا يستطيع رفع رأسه. حدث هذا لأنه لَم يتنقَّل ويَلعب، فلم تقوَ عضلات رقبته.

وقد يتخلَّف نموه الاجتماعي أيضًا.

قَد لا يفهم الطِّفل الذي لا يُحسِن الرؤية المحادثات أو يشترك فيها لأنه لا يستطيع رُؤية ما يتحدّثون

لذا فقَد يبدأ في قَضاء الكثير من الوقت وحده لأنه لا يفهم ما يقُول الآخرون.

ليس من الضروري أن يحدث أغلب هذه المشاكل. فالأطفال الذين لا يستطيعون الرُؤية يُمكِنهم تعلّم استعمال حواسّهم الأخرى — كحاسّة السمع واللمس والشمّ والتذوُّق — لمُسَاعَدَتهم على فهم عالمِهم وتعلّم ما يتعلّمه غيرهم من الأطفال بالنظر عادةً.

كَيف يُمكِنك المساعدة؟

ولمُسَاعَدَة الأطفال الصِّغار على التُطوّر في كُلّ مجالاتهم الجسمية والعقلية، وذلك من خلال الفرص المُصمَّمة لكي يختبروا ويَستكشفوا ويَلعبوا بالأشياء، يجب توفير "التَحفيز" أو "المساعدة المبكرة". في هذا الكتاب سَتَجِد العديد من النشاطات البسيطة التي يُمكِن عملها وأنت تلعب مع طفلك أو بينما تقوم بعملك اليومي. يُمكِنك تكييف هذه النشاطات أيضًا للتناسب مع طفلك وحياتك اليومية. على سبيل المثال:

إذا استرعيت انتابه طفلك الرضيع بلعبة صوتية وأريته مصدر الصوت الذي تُحدثه...

.... سَيَكُون أكثر اهتمامًا باللعب. وسَيَتعلّم أيضًا أن ينتبه إلى الأصوات وإلى مصدرها.

إذا شجّعت الطِّفل على استعمال حاسّة اللمس والسَّمع والشَّمّ لاكتشاف أشكال الأجسام ...

... سَيَتعلّم المزيد عن العالم ويَكُون قادرًا على التَحَدُّث عمَّا يعرف.

إذا أكثرت من هذه الأنواع من النشاطات، سيتمتّع طفلك بطفولة مليئة بالمرح والتعليم كأيّ طفل آخر. وكلما كبر، استطاع أن يتعلّم أنْ:

يتنقّل وحده

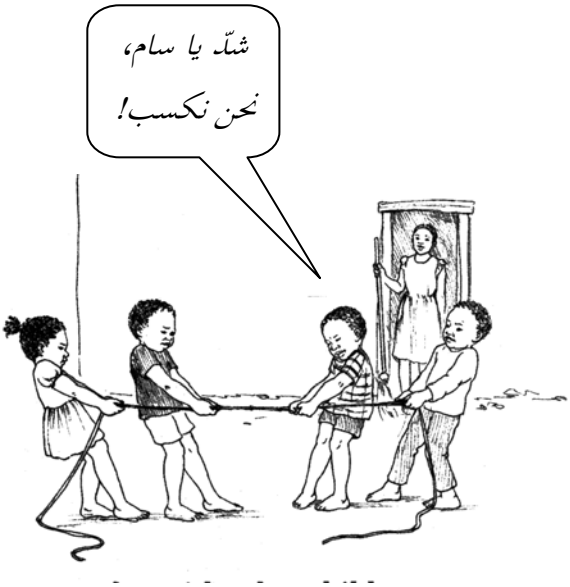

يلعب مع الأطفال الآخرين

يساعد في عمل العائلة.

يَذهب إلى المدرسة أو يتعلّم حرفة.

ماذا عن مستقبل طفلي؟

يَقلق العديد من الآباء على مستقبل أطفالهم، حتى بعد أن يبدأو يتعلّمون مهارات جديدة ويَذهبوا إلى المدرسة. فهم يتساءلون: "ماذا سَيَحدث حين يكبر؟ وكيف يُدبّر أموره بعدما نموت؟"

أحيانًا يستفيد الآباء من سماع أخبار الآخرين الذين، بالرغم من عجزهم عن الرُؤية، كَبروا واستمتعوا بحياتهم كاملة وبصورة مُرضِية — فأنشأوا أُسَرًا خاصَّة بهم، وكَسبوا الرزق، وأُصبحوا أعضاء مُحترمين في مجتمعاتهم. يستطيع المكفوفون أن يُنجزوا هذا عندما:

يَفهم الناس أنّ الأطفال المكفوفين، مثلهم مثل كُلّ الأطفال، يُمكِنهم أن يتعلّموا.

تُساعدهم أُسَرهم ومجتمعاتهم على النجاح.

هنا، على سبيل المثال، ما خبّأه المستقبل لرانيا:

لما كَبرت رانيا، كانت – في أغلب الأحيان– تساعد والديها في الدُكان. وما أن أنهت الدراسة، حتّى أتقنت الحساب واستطاعت المُسَاعَدَة في حسابات المتجر. كما أنها تتبّعت مخزون المتجر أيضًا بكتابة القوائم بطريقة برايل. وكان والدا رانيا فرحين بإنجازاتها.

عندما بلغت الثامنة عشرة، قَبل والداها تزويجها من ماهر، وهو شابّ من قريتهم. تزوّج ماهر ورانيا، وبعد وضع رانيا طفلها الأول، أبقت الرضيع بجانبها أثناء عملها في الدكّان. كَانت رانيا متمكّنة جدًا، لدرجة أنَّ الناس بَدأوا يعتمدون على مهاراتها بطرق أخرى.

طَلب مِنها الأطفال المُسَاعَدَة في واجباتهم المدرسية، قائلين: "رانيا تعرف الجواب عادة". وعندما أسس بعض النِساء من الجيران جمعية تعاونية للنسيج، جِئن إلى رانيا طلبًا للمساعدة في تأسيس حساباتهنَّ.

أحيانًا تُفكّر رانيا في حياتها وكَم وكيف كَانت ستختلف لو كانت بصيرة. فتقول: "ربما كُنت سَأَعمل أقل إذا أمكنني أن أَرى. جَعلَني كف البصر أصمّم على الاستمتاع بالحياة مثلي مثل باقي الناس".